Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ما يَشاءُ منَ الرِّضا بِقضَائِهِ، والصَّبْرِ عَلى بَلائِه.

٢ ـ رأيتُكَ يا بنيَّ في فِراشِكَ عليلاً فَجزِعْتُ[١]، ثم خِفْتُ عليكَ الموتَ فَفَزِعْتُ، وكأنّما كان يُخَيَّلُ إليَّ أنَّ الموتَ والحياةَ شأنٌ من شُؤونِ الناسِ، وعَمَلٌ منَ الأعمالِ التي تَملِكُها أيْدِيهِمْ، واسْتَشَرْتُ الطَّبِيبَ في أمرِكَ، فكتبَ ليَ الدواءَ، وَوَعَدني بالشِّفاءِ، فجَلَسْتُ بجانِبِكَ أَصُبُّ في فمكَ ذلك السائلَ الأصفرَ قَطْرةً قَطْرَةً، والقَدَرُ يَنْتَزِعُ من جَنْبَيْكَ الحياةَ قِطعَةً قِطعة، حتى نظرتُ، فإذا أنتَ بين يَديَّ جُثَّةٌ باردةٌ لا حَراكَ بها، وإذا قارورةُ الدّواءِ ما تزالُ في يدي فعلِمتُ أني قد ثكِلْتُكَ، وأن الأمرَ أمرُ القضاءِ لا أمرُ الدَّواء! لقد كان خيراً لي ولكَ يا بُنيَّ أن أَكِلَ[٢] إلى اللَّهِ أَمرَكَ في شِفائِكَ ومَرضِكَ، وحياتِك، ومَوْتِك...

٣ ـ ما أَسْمَجَ[٣] وجهَ الحياةِ مِنْ بَعدِكَ يا بُنيّ! وما أقبحَ صورةَ هذه الكائناتِ في نظري! وما أَشَدَّ ظُلمةَ البيتِ الذي أسْكُنُهُ بعد فِراقِكَ إيّاه! فلقد كُنتَ تطلعُ في أرجائِه شَمْساً مُشرقةً تُضيءُ لي كلَّ شيءٍ فيه، أمّا اليومَ فلا ترى عَيْني مِمّا حولي، أكثرَ مما ترى عينُك الآنَ في ظُلُماتِ قبرِك. بكى الباكونَ والباكياتُ عليكَ ما شاءُوا، وتفجَّعُوا، حتى إذا ضَعُفَتْ قِواهمْ عنِ احتمالِ أكْثَرَ مِمّا احتملوا، لجَأُوا إلى مَضاجِعِهِمْ، فسكنوا إليها، ولم يبقَ ساهراً، في ظُلمةِ هذا الليلِ، وسُكونِه، غيرُ عَيْنَيْن قَريحتين[٤]: عينِ أبيكَ

---

(١) جزعت: خفت.

(٢) أكِل: أسلم إلى الله.

(٣) ما أسمج: ما أقبح.

(٤) قريحتين: جريحتين.